

ثقافة ومجتمع | 05.07.2009

من الدولة الوطنية إلى الولاءات المذهبية والعشائرية

"حركة التحرر العربية فشلت في إقامة دولة علمانية"

وفيما يتعلق بالعروبة والقومية في العالم العربي، فإن حركات التحرر الوطني نادى بها وتبنتها لإنهاء الاستعمار، أي أن محتواها قومي وعربي كما يقول فيلاند ويضيف: "لم تكن تلك الحركات ديمقراطية وفق النموذج الفرنسي، لكن ما يميزها أنها لم تدخل في صراعات مع الهوية الدينية". وبعد التخلص من الاستعمار تحولت الحركات القومية من حركات إصلاحية إلى حركات تفوقعت حول نفسها لتركز على الجانب الإثني كما يقول فيلاند. لكن السؤال المطروح هو: ما هي وظيفة حركة التحرر العربية؟ هل تكمن وظيفتها في التمسك بالعروبة أم في التنوير أم في الوقوف في وجه التغيير والإصلاح؟ عمليا انتهت هذه الحركات ولم يبق منها سوى كلمة عربي بينما ذهبت فكرة التحرير أدرج الرياح على حد تعبير كل من فيلاند والعظم.

وعلى النقيض، يرى صادق جلال العظم أنه لا يمكن إلقاء اللوم بالكامل على حركات التحرر العربية إلى ما آلت إليه الحال في بعض الدول العربية، حيث أن المجتمعات انحدرت إلى مستوى القبيلة والطائفية وإلى ما قبل الوطنية والقومية على غير ما كان عليه الأمر سابقا. فخلال حرب السويس مثلا لم تكن نسمع بأن هناك أكرادا في سوريا وشيعة في السعودية وأمازيغا في المغرب العربي، وما إليه - والكلام للعظم - فإن مسألة التعصب للعروبة تعتبر مسألة نسبية.

"لا يمكن القول بأن الصراع العربي الإسرائيلي هو السبب في تأخر العرب"



!!!
"!!!
!!!

لكن الدكتور العظم يحمل حركة التحرر العربية مسؤولية ممارسة سياسات انحدرت بنا إلى مستويات مذهبية وطائفية من خلال تشكيلها لحكومات وأنظمة تعتمد على جهة أو مذهب أو طائفة ما. ومن هنا فإن الولاء للدولة لم يتبلور ولم يتعزز، إذ يحل محله الولاء للطائفة أو للعرق أو للمذهب كما هو واضح في لبنان والعراق. وعلى ذلك يستشهد فيلاند بمقولة "الولاء للدولة يأتي من ولاء الدولة للمواطن. وهذا هو مفهوم الولاء العلماني"، ويضيف أن الكثير من الدول تأسست بناء على المفهوم العرقي وحقوق المجموعات بدلاً من التركيز على الشخص أو الحاكم نفسه.

وفي نفس السياق، يرفض فيلاند القول بأن الحرب الباردة كانت السبب في تأخر البعض في مجال الإصلاحات. "هناك دول عربية ضد دول عربية أخرى، ليست هناك وحدة وتضامن فعليين، وإذا كان هناك مشروع مشترك بين دولتين عربيتين، فيجب أن تدخل دولة أوروبية في أحيان كثيرة كي يتم تنفيذ المشروع"، كما يقول فيلاند ويضيف: "عدم وجود إصلاح سياسي واقتصادي ومحاباة الأقارب والعشيرة واللجوء إلى هذه الأمور كحل، إضافة إلى مقاربة السياسة الخارجية التي فقدت الكثير من مصداقيتها. كل ذلك سبب في تأخر البعض، وعليه لا يمكن القول بأن الصراع العربي الإسرائيلي هو السبب في تأخر العرب". لكن فيلاند يوافق على فكرة وجود عوامل خارجية لها تأثيراتها على سلوك الدولة خصوصا في الشرق الأوسط، حيث أن هناك دولا تعاني من العزلة

الغربية مثل سوريا.

"ماركسيون ينضمون إلى حركات دينية للدفاع عن قيم الثورة البرجوازية ضد العشائرية"

ويرى الدكتور العظم أن جزءاً من الماركسيين العرب عاد إلى خط الدفاع الثاني، والذي هو الدفاع عن قيم الثورة البرجوازية أمام الانحدار إلى القبلية والعشائرية، ويوضح قائلاً: "لا أعتبر هذا انتهازية بل أعتبره تراجعاً إلى خط الدفاع الذي يقينا من الوقوع في الشر الذي نتكلم عنه الآن، وفي الوقت نفسه، نبعد كأس السم هذه عن مجتمعاتنا ودولنا". ويضيف المفكر السوري أن هناك كتلة ماركسية صغيرة انضمت، باسم الكفاح ضد الرأسمالية والامبريالية وضد هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية، إلى عناصر ترى الهوية في المذهب أو الدين، معطياً مثلاً لذلك المجموعات التي انضمت إلى حزب الله اللبناني وحركة حماس، ويضيف في هذا الإطار: "هذه المجموعات تكمل المشوار في الصراع ضد الأمبريالية. أعتبر أن هذه هي الكتلة الماركسية أو اليسارية الأكبر تدافع عن الآخر، وأعتقد أنني في صفها".

الكاتبة: عفراء محمد- دمشق

تحرير: سمر كرم